بديع الزمان والدعوة الاسلامية المعاصرة

أ.د. انيس أحمد *

يعتبر الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي "١٨٧٦- ١٩٦٠" من مؤسسي الفكر الاسلامي المعاصر في تركيا، ولم يؤسس جماعة اسلامية على نمط الأخوان المسلمين والجماعة الاسلامية، ولم يقترح في كتاباته برنامج تغير اجتماعي من الناحية السياسة والاقتصادية، ومع هذا كان له الفضل الكبير والقدم السبق في ظهور الشخصية والنظرة الاسلامية وصحوتها.

وقد اتخذ الاستاذ النورسي فكرة نهج "المجتمع النموذجي" في خير القرون المتشكل بالمدينة المنورة اساساً لتأسيس مجتمعٍ اسلامي بكل معنى الكلمة. ومع هذا يعتبر تناوله موضوع التغير الاجتماعي مختلفاً للجماعتين المذكورتين بصورة كلية تماماً. ففي المرحلة الأولى من حياته التي سماها بـ "مرحلة سعيد القديم " كان يحمل فكراً سياسياً بارزاً، وقد ايد اسلوب جمعية "الاتحاد والترقي" من ناحية الاصلاحات المشروطية، وحتى في المرحلة الأخيرة من حياته التي سماها بـ "سعيد الجديد" قد أيد "عدنان مندرس" من ناحية برنامجه السياسي بصورة غير مباشرة. ومع هذا فقد اجتنب في مؤلفاته "اي في رسائل النور المتشكلة من ١٣٠ جزء" والمتعلقة بالاسلوب القرآني وموضوعاته، عن مناقشة المواضيع السياسية والإقتصادية.

فهل كان الاستاذ النورسي يدعو الناس إلى طريقة صوفية؟ وهل كانت السياسة بالنسبة إليه فاكهة ممنوعة؟، فيجب التطرق لمثل هذه المواضيع من جديد. نورد السؤال بشكل آخر قائلين : على اي شئ قلق واغتم، وما هوالموضوع المهم الذي اهتم به حيال ما واجهت الأمة من التحديات؟.

وقد رأى الاستاذ النورسي واضحاً بيناً أن العدو الألد للمسلمين في هذا العصر يأتي من الداخل، واسرد هذه المشكلة بأسلوبه البليغ المقنع بالكلمات الآتية:

"انه لا يقلقني سوى المخاطر التي يتعرض لها الاسلام . اذ كانت المخاطر سابقاً تأتي من الخارج وكانت مقاومتها يسيرة، أما الآن فانها تأتي من الداخل حيث دبت الديدان في الجسد وانتشر فيه فتعسرت المقاومة. انني اخشى ما أخشاه الاّ يتحمل بنية المجتمع هذا الداء الوبيل، لأنه لا يشتبه بالعدو. اذ يظن من يقطع شريانه ويمص دمه صديقاً. ومتى عميت بصيرة المجتمع الى هذا الحد فقلعة الإيمان اذن في خطر داهم. لذا لا قلق لي الاّ هذا ولا أضطرب الاّ من هذا."١

وقدم الاستاذ النورسي تحليلات مهمة حول ظهور الإلحاد والتغرب في الأمة الاسلامية والتوجه نحو الدنيا ومتاعها، فقال مثلاً:

"ان العالم اليوم يضطرب من قلق معنوي عظيم . فالمرض الذي دب في جسم الغرب وزعزع الاسس المعنوية لمجتمعه، ذلك الطاعون الوبيل يسري بمرور الزمن الى انحاء العالم كله. ترى ما العلة الذي سيهيئه المجتمع الاسلامي تجاه هذا المرض الخطر..

انني ارى الرؤوس الكبيرة سادرة في الغفلة. فقلعة الايمان لا تسند باعمدة الكفر النخرة، ولهذا ابذل كل جهدي وسعيي في الايمان وحده. فلا أنشغل الاّ بالتوحيد واسس الايمان التي ارساها القرآن الكريم. فهذا هو العمود الاساس الذي يقوم عليه المجتمع الاسلامي."٢

كان القلق الأول الذي يراود الأستاذ النورسي هو تعرض الشباب لداء الإلحاد وبلاء السفاهة الدنيوية، وكيفية توقيد جذوة الإيمان في قلوبهم العطشى.

وقد اتخذت جميع الحركات الاسلامية المعاصرة ظاهراً نفس الغاية اساساً لها، واهتمت على المدى الواسع حول

صفاء الإيمان، والعقيدة السليمة، وتمتلك كل من حركة الامام محمد بن عبدالوهاب، والشهيد حسن البنا، والإمام ابو الاعلى المودودي نقطة حركية واحدة، وتشترك في هذه النقطة: وهي تنقية الايمان مما تعتريه وتتعلق به من الاشياء اللاإيمانية، واسباغه بصفائه على اساس القرآن والسنة، والرجوع الى الشخصية الاسلامية والنهج القويم للنموذج المثالي الذي تميزت به الجماعة الاسلامية في المرحلة الأولى بالمدينة المنورة.

ويعكس الاستاذ النورسي عند بيانه قيمة الايمان وأهميته هذا المفهوم الواسع.

فهو كان يعلم جيداً ان حياز الأمة على مستقبل زاهر يتخلله المعنى والمغزى لا يكون الا من خلال ايمان حي مرهف حركي يهز القلوب والمشاعر.

وهذا لا يعني انه كان لا يدرك اهمية الوجوه الأخرى من الإسلام.

وقد استعمل الاستاذ النورسي اسلوباً قد يقال له أو يفسر بأنه اسلوب تصوفي، ولكن عند تفحصه عن قريب يتراءى ان الشئ الذي ينعكس على كلماته هو قلقه الشديد على الإيمان. فلم ينوي في أي وقت من الأوقات ان يصبح قائداً صوفياً، ولم يرد تصنيف اتباعه ضمن الطرق الصوفية.

فمثلاً يقول: "لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة ايمان المجتمع، فليس في قلبي حب الجنة ولا الخوف من جهنم، بل انني على استعداد لأضحى ليس فقط بسعيد واحد بل بألف سعيد في سبيل ايمان المجتمع التركي البالغ خمس وعشرون مليوناً. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الارض فلا ارغب حتى في الجنة اذ ستكون هي ايضاً سجناً لى ، وإن رأيت ايمان امتنا في خير وسلام فانني ارض ان أُحرق في لهيب جهنم اذ بينما يحترق جسدي يرفل قلبي في سعادة وسرور"٣

فهذه الكلمات تذكرنا بالكلمات المليئة بالعشق الإلهي للسيدة رابعة العدوية البصرية التي تقول: انها لا تخشى النار ولا تحب الجنة بل انها تتحرك بحب الله ورضاه، وقد كثف الاستاذ النورسي طاقته كلها لإنشاء وتشييد قلعة الإيمان تجاه الإلحاد.

ففي رسالته الدائرة حول ترجيح الإنسان بين الإيمان والكفر من بين رسائل النور "اي في الكلمة الثالثة والعشرين" يبين دور الإيمان ومكانته في مستوى ايجابي بكل تفرعاته.

"إن الانسانَ يسمو بنور الايمان الى اعلى عليين فيكتسب بذلك قيمةً تجعلُه لائقاً بالجنة، بينما يتردّى بظلمةِ الكفر اسفل سافلين فيكون في وضعٍ يؤهّلُه لنار جهنم، ذلك لأنّ الايمانَ يربطُ الانسانَ بصانعهِ الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبةٍ اليه، فالايمانُ انما هو إنتسابٌ؛ لذا يكتسب الانسانُ بالايمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعةِ الإلهية فيه، وظهورِ آيات نقوشِ الأسماء الربانية على صفحةِ وجوده."٤

وبعد أن يبين أن الأيمان ينقذ الماضي والمستقبل من الظلام وينوره يقول الأستاذ النورسي: "كما أن الايمانَ نورٌ وهو قوةٌ أيضاً. فالانسان الذي يظفر بالايمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستنداً الى قوة ايمانه فَيبحر متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلاً: توكَّلتُ على الله، ويسلّم أعباءه الثقيلة أمانةً الى يدِ القُدرةِ للقدير المطلق، ويقطعُ بذلك سبيلَ الدنيا مطمئنُ البال في سهولة وراحةٍ الى يدِ القُدرةِ للقدير المطلق"٥

"إن الايمانَ يجعل الانسانَ انساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً"٦

عند تناول أصل الإيمان ومركزه الذي هو العقيدة الصحيحة يحاول الأستاذ النورسي صياغة علم الكلام من جديد. وقد تعامل علم الكلام القديم مع المواضيع الإعتقادية ضمن اطار افلاطوني جديد.

فبدلاً عن اتباع الاستاذ النورسي منطق علم الكلام القديم واصوله، طور سلسلة ادلة بسيطة تثبت التوحيد مباشرة بإستنادها في اساسها إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة باسلوب خاص به. ويرجع سبب اصراره وتأكيده لإمتلاك الأمة الاسلامية على الإيمان الحقيقي إلى قوله " لي غاية واحدة انني في هذا الوقت الذي اتقرب فيه الى القبر.. وفي هذا الوطن الذي هو بلاد اسلامية، نسمع نعيق ابوام البلاشقة.. هذا النعيق يهدد اسس الايمان في العالم الاسلامي، ويشدّ الشعب ولا سيما الشباب اليه، بعد سلب الايمان منهم.

انني بكل ما أملك من وجود، أُجاهد هؤلاء، وادعو المسلمين وبخاصة الشباب الى الايمان، فانا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة . وسأمثلُ ان شاء الله في ديوان حضوره سبحانه وانا رافع راية هذا الجهاد. وكل عملي ينحصر في هذا. واخشى ما اخشاه ان يكون الذين يحولون بيني وبين غايتي هذه هم بلاشقة ايضاً.

فغايتي المقدسة هي التكاتف والتساند والترابط مع كل من يجاهد اعداء الايمان هؤلاء. اعطوني حريتي واطلقوا يديّ كي اعمل بالتكاتف مع القوى المجاهدة في سبيل اعلان التوحيد وترسيخ الايمان في هذه البلاد واصلاح الشباب المتسمم بالشيوعية.."٧

وقد رغب الأستاذ النورسي بنظر متوجه نحو آفاق بعيدة تأسيس جامعة اسلامية، مستهدفاً تنشئة جيل نوراني لا يُحصر نفسه في معرفة القرآن ورسالته بل يقوم بتطبيقه في حياته أيضاً، فأراد تأسيس مثل هذه الجامعة التي يتم التدريس فيها باللغة العربية والتركية والكردية في بلاد الأناضول، وكانت تستهدف هذه الجامعة "جامعة الزهراء" تدريس علوم الفيزياء الطبيعية الحديثة إلى جانب تدريس القواعد الإسلامية المتعارفة. فهو كان يرى أنه هناك خطين متوازيين ينشغل أحدهما فقط بالمتون الدينية والأخر بالعلوم الطبيعية، وهذا ليس بصالح الإسلام، وقد نجح في الحصول على مساندة السلطان، بتخصيص السلطان لمشروعه تسع عشرة الف ليرة ذهبية، وبإندلاع الحرب العالمية الأولى تأخر المشروع إلى زمن لاحق، وفي زمن حكومة "عدنان مندرس" كانت الظروف مساعدة إلى حد بعيد لتطبيق هذا المشروع، ولكن الحكومة لم تساند مساندة كافية، مما أدت إلى تأخير المشروع وعدم المباشرة به.

وللأستاذ النورسي مساهمة مهمة وهي تأليفه رسائل النور التي قدمت الحقائق القرآنية ضمن لغة علمية حديثة للأنظار. ولم يكن ما تحقق في رسائل النور من الفكر جديداً، بل قد استساغ كل من السير سيد أحمد خان، في باكستان وما جاورها، وعدة من رجال أخرين في العالم الاسلامي ما يماثل هذه الفكرة.

كان يرى الأستاذ النورسي وجوب اتخاذ اعجاز القرآن بنظر الاعتبار عن تفسير القرآن وايضاحه، وما قام بتأليفه من مئة وثلاثين رسالة تثبت أن القرآن ينير درب العصر الحديث أيضاً، فهذه الرسائل تتضمن ما ابتلي به كل من سيدنا يونس وايوب والأنبياء الأخرين، وأدلة الحشر، وادلة وجوده سبحانه، وحاكميته تعالى، والأيمان بالأخرة، ومقتضيات الايمان، وضرورة الصلاة، والمواضيع الأخرى أيضاً.

وقد ألف الأستاذ النورسي رسائل تتعلق بالعمل الاسلامي، مثل الأخوة، وتلقين مفهوم الأحترام المتبادل وأمثالها من المواضيع في رسائل النور، وعند تدقيق كتاباته وشخصيته بدقة وإمعان يُرى انه لم يسمح لتطور حركة تتخذ شخصه اساساً دون مؤلفاته. وعلى الرغم من هذا فقد اتهم هو واتباعه بتأسس طريقة جديدة.

ومع هذا فقد كثر اتباعه من الشباب الذين يطلقون على انفسهم بطلاب النور طوال حياته وبعد مماته اضعافاً مضاعة.

فهؤلاء الطلاب قد شكلوا حلقات التدريس لكتب الاستاذ النورسي التي بها تعرف حركته، وذلك في كثير من المدن، وتشترك في هذه الحلقات التي تتشكل في أوقات معينة مختلف الأعمار من الناس "ما بين عشرة سنوات إلى سبعين سنة". وقد اكتسب هؤلاء الأتباع إلماماً جيداً لكتب الاستاذ النورسي إلى درجة أنهم يهملون بعض الأوقات الرجوع الى المصادر الأصلية من الكتاب والسنة، وللإستاذ النورسي قول حول ما كتب من الرسائل والكلمات البالغة ثلاثة وثلاثين رسالة بانها كافية لطلابه كفاية فائقة. ويمكن تفسير هذا الأمر إلى درجة بانه نوعاً من منهج ثقافي خاص. وقد قيل أن الاستاذ النورسي قصد من قوله هذا، ان كتاب "الكلمات" المتشكلة من ثلاثين وثلاثين رسالة والتي تشكل زبدة أفكاره ومنهجه لعلها تجعل الإنسان حراً ومستغنياً عن كثير من الأمور والمسائل، وذلك لأنها تستند إلى الحقائق الأساسية للقرآن الكريم.

ومثل هذا القول يفسر احياناً من قبل ناقدي الاستاذ النورسي بأنه كان بمثابة رغبة نابعة منه لتأسيس طريقة صوفية، بينما نرى أن الاستاذ النورسي يقدم حسب منظوره ايضاحاً فيه معنىً كبيراً للمكانة التي وضع فيها التصوف كالآتي : "ان الانسان لا يستطيع أن يعيش من دون خبز، ولكنه يستطيع أن يعيش من دون فاكهة، فالتصوف فاكهة، والحقائق القرآنية بمثابة الخبز".

النضال السلمي:

لقد اشترك الاستاذ النورسي في سلسلة الحركات والإشتباكات مع كل من الإنكليز والإتحاد السوفيتي، فأصبح قائداً للقوات الاسلامية تجاه الأعداء، فقتل أكثرية أصدقائه، وبقي هو وحده حياً، ولم يخضع للمستعمرين، ولم يقدم أي تنازل كان، حتى اسر من قبل الروس أخيراً، وسيق إلى معسكر الأسر في سيبيريا، وبعد أن قضى عدة سنوات من حياته هناك، استطاع الهرب من المعسكر، ونجح في العودة إلى تركيا ثانية.

ومع هذا وجدناه يحشر داخل القطر في معترك من المحاكم والإتهامات، فسيق طوال حياته إلى المحاكم، فمضت ثماني وعشرين سنة من حياته في السجن، والمراقبة، ومثل السيد المودودي قد طلب الحكم عليه بالإعدام، ولكن الذين اصدورا الحكم رجحوا إلقاءه في السجن متجرعاً شتى صنوف التعذيب والمظالم طوال حياته بدلاً عن حكمهم ذلك، ومع ذلك لم ينحاز إلى العنف والشدة، فدافع عن وضعه في المحاكم على الأكثر، واستعمل المحاكم وسيلة لنشر دعوته وأفكاره، وذات مرة نطق في المحكمة بالكلمات الآتية:

"إن كان في بيت أو في سفينة برئ واحد وتسعة من المجرمين فان العدالة القرآنية تمنع هدم ذلك البيت أو غرق تلك السفينة حفاظا على حق ذلك البرئ الواحد، فكيف ان كان تسعة من الابرياء ومجرم واحد في ذلك البيت أو تلك السفينة أليس هدم ذلك البيت أو غرق تلك السفينة ظلم عظيم وخيانة شنيعة وعذر فظيع؟ . لذا فاننا نرى أن العدالة الالهية والحقيقة القرآنية تمنعاننا بشدة من إلحاق الضرر بتسعين من الابرياء لأجل إخلال عشرة مجرمين بالنظام وامن البلاد. ونجد انفسنا مكلفين ديناً ومضطرين الى الحفاظ على امن البلاد بناء على تلك الحقيقة القرآنية"٨

منهج التغيير الاجتماعي

يعتبر الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الرائد الوحيد من بين رواد الحركة الاسلامية المعاصرة الذي لم يقترح في حياته منهج تغيير اجتماعي يتمركز حول الصراع السياسي. وهذا لا يعني أنه قام بفصل الاسلام عن السياسة. وعلى العكس من ذلك كان ابرز هدف للأستاذ النورسي هو تحقق الشخصية الاسلامية والعائلة الاسلامية والمجتمع الاسلامي، ويجب تلقي تأكيده على الايمان والتطور الأخلاقي والمعنوي، وتكثيف دعوته حول هذه النقطة كمنهج اكتسب الأولوية لديه.

وعلى الحركات الاسلامية على المستوى العام تطوير استراتيجياتها بأخذ ما يخصها من الظروف والملابسات بنظر الأعتبار؛ وعليه فقد اصبح منهج خير القرون الذي يرينا رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم بما واجهت في مكة المكرمة

والمدينة المنورة من الظروف والملابسات منيراً الدرب وهادياً لتطوير هذه الاستراتيجية دوماً. والاستاذ سعيد النورسي حسب رأي الاستاذ خليل حميدي قد أوصى طلابه بقراءة افكار ومؤلفات الإمام أبو على المودودي، وأيد المنهج المقدم في كتاب أبو الأعلى المودودي المسمى بـ"منهاج الإنقلاب الإسلامي" بحذافيرها، واوصى الاستاذ النورسي طلابه اتباع أفكار الاستاذ ابو الاعلى المودودي وتصرفاته الحكيمة عند انتقالهم لزمان ومكان جديد .

عند قيام اتباع الحركات الاسلامية بتطبيق ومجانسة المنهج الحركي ضمن ربط تاريخي مختلف اختلافاً كلياً تقع الأذهان في لِبْسٍ وغموض في كثير من الأوقات. وقد اجاب الاستاذ المودودي فوراً عندما سأله عالم ماليزي "ما يجب على الحركة القيام بها في ماليزيا ؟" بما تبادر إلى ذهنه تلك اللحظة من الجواب المقنع "اهل مكة أدرى بشعبها" بينما كان يمكنه أن يقول: لقد ألفت كتاباً حول "كيفية تحقيق التغيير الاجتماعي الاسلامي، خذ هذا الكتاب وطبقه كلمة كلمة" بل على العكس من ذلك كان يريد أن يفكر كل شعب بهذا الأمر المعلوم، ويحلله بنفسه، ويطالعه على هذا الضوء، ثم يختار ما يناسبه من المنهج الأخلاقي المعتدل ويقر بمنهج التغيير الأجتماعي المناسب له.

يجب أن يفهم ريادة الاستاذ النورسي ضمن هذا الإطار العام، فقد كان يعلم جيداً كما أن الاسلام يدعو إلى التغيير الاجتماعي، فهو يدعو ايضاً إلى تغيير سياسي، ولكن عقله كان مشغولاً بنقطة الابتداء والإنطلاق، وبكيفية كسر طوق الإفساد الذي هو نتاج المادية الإلحادية وحب الدنيا، ففكر بشكل جاد أن الأمور التي هي في الدرجة الأولى ينبغي الإبتداء بها أولاً، فأكد على الايمان، وهذا التأكيد على الايمان فوق ما يتضمن من المعنى الغزير فهو انجح واوفق منهج ايضاً.

فلا يتبادرنَّ على أذهاننا ان الاستاذ النورسي بخاصيته هذه يقترح في رسائله النورية نوعاً من الطابع الروحي فقط، فالاستاذ النورسي لم يقدّم تغيراً جزئياً، بل ابدى بشكل واضح أنه يريد تغيراً اسلامياً جذرياً للمجتمع، وتحقيق نظام اسلامي شامل له. ويوضح الاستاذ النورسي الفرق بين "الشريعة" و "الطريقة" ويقول بأسلوب سهل بسيط "هناك الكثيرون يدخلون الجنة دون طريقة، ولكن ليس هناك من يدخل الجنة دون ايمان، ان الانسان لا يستطيع أن يعيش من دون خبز، ولكنه يستطيع أن يعيش من دون فاكهة" لذا لا يصح التفكر بأن تأكيده على الإيمان ولّد لدى اتباعه نوعاً من الانحصار في الجانب الروحي".

وقد واجه الاستاذ النورسي العنصرية التي استولت موجاتها على العالم وجاهدها جهاداً كبيراً، ورد العنصرية المستندة على الدم، والقومية، واللون، واللغة، وذلك من خلال اسلوب بسيط واضح، فتكلم عن هجرة الأتراك والأقوام الأخرى، وفترة تحضرهم، وسأل عن مدى المحافظة على الدم والقومية في خضم هجرة ملايين من الناس إلى تركيا وهجرتهم منها .

يعتبر مفهوم الأمة لدى الاستاذ النورسي مستنداً الى ما في سورة الحجرات من آية كريمة التي تبين حكمة خلق الله تعالى الناس شعوباً وقبائل، وان اكرم الناس عند الله اتقاهم ان اكرمكم عند الله اتقاكم "الحجرات:١٣". فمثل هذا المفهوم لا يبين مدى استيعابه العميق لفهم الأمة وتحليها بالإيمان والتقوى فحسب، بل يوضح امنيته لتربع الأمة على المكانة المرموقة لتكون قدوة للآخرين في تقديم النشاطات المتعقلة بالتطور والتقدم كافة.

ينبغي اعتبار ما قدم الاستاذ النورسي من برنامج التغيير الاجتماعي كنموذج حي، للظروف التي فشلت فيها السياسية لأسباب داخلية وخارجية. وهذا مما يكسب مرونة للتطور الاجتماعي الشامل من ناحية الفرد والمجتمع والمؤسسات. وهذا مما يجعل أفكاره حية طرية ملائمة للتطبيق على الرغم من مرور خمسة وثلاثين عاماً على رحيله.

نبذة عن حياة الاستاذ سعيد النورسي

ولد الاستاذ النورسي في قرية "نورس" الكردية القريبة من نواحي مدينة "بتليس" من بلاد الأناضول "وقد عرف فيما بعد باسم "النورسي" نسبة الى قريته" وباشر بالتعليم في "خيران" وهو يناهز التاسعة من عمره، وبعد اتمامه الدراسة الاساسية،

دخل سلسلة من المدارس، وأخيراً سكن سنة ١٨٩٠ في مدينة بتليس لإحداث "علم كلام جديد" وذهب فيما بعد إلى وان ليفتح جامعة اسلامية على حافة بحيرة "وان" ، وقد وقعت مدينة "وان" تحت سيطرة الروس خلال الحرب العالمية الأولى، وقع الاستاذ النورسي أسيراً في الحرب وسيق إلى معسكر الأسرى في سيبيريا. وبقى في معسكر الأسر سنتين، وفي هذه الفترة جرت بينه وبين قائد القوات الروسية حادثة مثيرة للإعجاب:

يُروى ان القائد القوات الروسية قد زار معسكر اللاجئين وقام اللاجئون كافة تبجلاً واحتراماً له غير بديع الزمان سعيد النورسي، فسأله قائد القوات الروسية عن عدم قيامه، فأجابه الاستاذ النورسي بأن دينه لا يسمح له القيام لاجل عدو من اعداء الاسلام، وأخيراً فقد اصدر الحكم بإعدامه، فحاول اصدقاؤه اقناعه بإبداء الندم تجاه فعلته وطلب المعذرة من القائد، لم يرض بذلك. وكان له طلب واحد وهو السماح لادائه ركعتين من الصلاة قبل اعدامه، فأثرت سجيته وخلقه ومتانة إيمانه الفريدة على القائد الروسي القادم من بعيد أيما تأثير، ولم يتمالك نفسه إلا ان يبدي الاحترام والتقدير تجاه ايمان الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي والغاء حكم الاعدام الذي اصدره بحقه.

يبدأ أهم مرحلة من مراحل حياة الاستاذ النورسي بعد عام ١٩٢٦ بتأليفه رسائل النور، وقد باشر بتأليف هذه الرسائل في ناحية "بارلا" عندما كان تحت الرقابة الشديدة، وخلال فترة نفيه الى "بارلا" البالغة ثمانية سنة ما بين عام ١٩٢٦- ١٩٣٣ باشر الاستاذ النورسي بتطبيق خطة رسائله النورية، ولم تمنعه كثرة الاعتقال والتوقيف، وسوقه من محكمة الى أخرى ونفيه من مكان إلى آخر عن استمراره في تفسير القرآن الكريم.

وقد اتهم الاستاذ النورسي عام ١٩٠٨ باشتراكه في تمرد بدأ به شيخ صوفي منسوب الى جمعية الاتحاد المحمدي، ولكنه نال البراءة خلال هذه الفترة التي قدمت فيها جمعية الاتحاد والترقي اصلاحاتٍ مشروطية، وقد ايد الاستاذ النورسي دعوة الاصلاحات المقدمة تجاه ادارة السلطان، ومع هذا قد اثبت التاريخ فيما بعد ان الاتحاد والترقي تستهدف ان تصوغ تركيا صياغة سكولارية، وبعد الحزب الواحد، ساند الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الحزب الديمقراطي تحت ريادة عدنان مندرس.

ومساندته لعدنان مندرس لم يمنعه من تعقيبات الحزب الديمقراطي له، ففي عام ١٩٥٢ ألف كتاب "مرشد الشباب" وبين فيه جمال الحجاب الاسلامي وملائمته لفطرة النساء، وعلى رد سياسة التغريب وحب الدنيا المتبعة في تركيا. فتعرض الاستاذ النورسي للمظالم والايذاء نفسها بأيدي حكومة عدنان مندرس أيضاً.

وفي ٢٣ مارت سنة ١٩٦٠ انقطعت الأنفاس الأخيرة لهذا العالم الجليل في مدينة "أورفا" المكتظة بكثير من أحبابه واتباعه، ومع ذلك فقد نقل المسؤولون العسكريون بعد الاحتلال العسكري سنة ١٩٦٠ نعشه سراً الى مكان مجهول، مخافة ألاَ يكتسب ضريحه أهمية سياسية لدى الناس.

وقد اكتسبت رسالة الاستاذ النورسي قوة بمحاولات القائمين بابتكار أنواع من المظالم والأيذاء تجاهه، وهذا الحال يبين أنه لا يمكن طمس الحقيقة من قِبَل القابضين على السلطة ابداً.

لقد كان الاستاذ النورسي رمزاً للبساطة، والصدق والأمانة، والعلم والحكمة، وهذه الصفات صفات تقتضي تواجدها في كل من هو صاحب دعوة، وقد لعبت أفكاره دوراً كبيراً في تطور النهضة الاسلامية، ولاسيما في تأسيس حزب العدالة، وحزب السلامة الملي الذي يترأسه رائد الحركة في تركيا حالياً الدكتور نجم الدين اربكان، وقد تحدى الدكتور نجم الدين أربكان على نطاق واسع قوى التغريب والسكولارزيم والاشتراكية، ومن المشاهد ان الحركة الاسلامية قد استلهمت من كتب الاستاذ النورسي وطورت خطة كبيرة على مدى واسع للتغيير الاجتماعي. والله نسأل أن يعين هذه الحركة في تطبيق برنامجها.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

---

* البروفيسور الدكتور أنيس أحمد: مدير اكاديمية الدعوة في الجامعة الاسلامية العالمية في اسلام آباد ، وهو العميد السابق للجامعة الاسلامية في ماليزيا، والرئيس السابق لجمعية العلوم الاجتماعية الاسلامية في امريكا. وقد ترجم مؤلفه "العدالة الاجتماعية والمرأة" الى اللغة التركية والعربية، والانكليزية، وله كتب كثيرة مؤلفة باللغة الأردية.

١ Tarhiçe-i Hayat / Sozler y. Sh 552

٢ Tarihçe-i Hayat Sozler y. 552

٣ Tarihçe-i Hayat, 524

٤ الكلمات/ ٣٤٩

٥ الكلمات/ ٣٥٢

٦ الكلمات/ ٣٥٤

٧ الشعاعات/ ٥٤٤

٨ Tarihçe-i Hayat / Envar y. sh 653